

نافذة

عن الحب وسرّ الحب

يسأل كثيرون أحبائهم عن الأشياء التي جعلتهم قريبين منهم، ويكثر التحليل في الأشياء التي تدفع أحدنا للتعلق بهذا الشخص أو ذاك، هذا التعلق الذي يبدأ أتبهاراً، وينتهي عند حدود الدهشة، وتكثر الإجابات بعد السائلين والمسؤولين، وكل الإجابات صحيحة، والإجابات كلها لا تصل إلى صميم الموضوع، ومنذ بدء الخلق بحث الأبناء والشعراء والفلاسفة في ماهية الحب، وفي تعريفه، وفي وضع حدود له، وربما وجدنا عند الشاعر نفسه أكثر من رؤية للحب، وعند الكاتب أكثر من تعريف له، فكتب الشعراء، وغنى المغنون، فتأوهوا تارات، وسعدوا تارة، امتدحوه مرة، واشتكو منه مرات لا تحصى، وما من أحد يستطيع أن يقدم تعريفاً للحب وسره، إن كان سعادة أو ألمًا، ولعل أهم ما قيل فيه (الحب في الأرض بعض من تخيلنا / لو لم نجد عليه لاخترعناه) هو حاجة الروح للعقل، للجسد، للاستمرار، وكل ما قيل في الحب لا يصل إلى الجوهر، وإنما هو حديث عن تجارب، لذلك ما من قائل يمكن أن يقول إن هذا الذي نعيشه هو أو الآخر من الحب أم لا..! فقد يراه أحدهم حباً، ويراه الآخر غير ذلك، ولكن لو وضعنا في حسابنا أن الحب جزء من التخليق لعرفنا أنه الحاجة المفقدة من ذات كل واحد منا، لذلك تخيلته، لذلك أراه، لذلك رآه حباً، لذلك تصعب له أيضاً وتطرف في تقديره، لذلك قصر رؤيته للحب على المفهوم، ورأى سواء من الناس غير محبين، ولا يعرفون الحب.

كل ما كتبه الأبناء والشعراء والمفكرون والفلاسفة هو حديث عن تجربة الحب، عن ماهية الحب، ولا يدخل في إطار سرّ الحب، وإن كان ابن حزم الظاهري، وهو الأديب والفقيه قد ترك أثرًا لا يمحي في كتابه الأصيل «طوق الحمامة في الألفة والألاف» فإنه لم ينظر للحب، وإنما قام برصد وجمع حالات الحب العديدة والغنية، تلك التي عاشها مشهورو العشاق والمحبين، ومن خلالها حاول أن يستخلص مراتب الحب ودرجات، وهو ما ينكرنا بتصنيف الجنة والنار ودرجاتها، فهل كان الفقيه الأديب يقصد بهذا الإشارة إلى أن الحب حياة أخرى وأخرى، وأن لها درجات إن كان الحب سعيداً سما إلى الوله، وإن لم يكن سعيداً هبط إلى الجحيم أو ما دون؟ ربما قصد، وربما دفعه فقهه إلى ذلك متأثرًا بما يدور في فلك عقله المنظم، المفتوح، وهو الذي تروي الكتب أنه كان يجمع طلابه في حلقات العلم فيعلمهم ويجيزهم، ويعطيهم مكافآت مالية لقاء حضورهم جلسات العلم! قد أجزم، وسوف أجزم أحد أصدقائي ذلك، وفي علمه ارتقى إلى الوله بالعلم، فحاز جنان العلم، وحاز حب الآخر واحترامه، فكان أجدر الناس بالحديث عن مراتب في الحب، ولأنه بهذه المكانة لم يقم بتعريف الحب، وإنما حدد المراتب وصفات هذه المراتب.

الحب سرّ، لذلك كان عند زيارتنا «أجل الحب حب بعد ما قيلًا» فالحب جميل، لكنه عندما يصعب على لسان صاحبه يتحول إلى ممارسة ولم يعد حباً، ويكون الحب الأجل هو ذاك المكنن الذي يبحث عنه منظره، ويستحث من يحب على القول والبوح، وهذا ما يدعى إلى البحث عن الحب الذي لم يقل، وعن الحب الذي يرتقبه المحبوب، ولكنها استحث المحبوب محبوبه كان أكثر تعلقاً، والعرب هم الذين تحدثوا عن مصراع العشاق، وعن المحب والمحبوب والمشروب، وعن المنازل والديار، وعن تفاصيل ما يحب المرء، والعرب قالوا «وما حب الديار شغف قلبي ولكن حب من سكن الديار» فهو لا يقبل الجدار والجدار لحب الجدار، وإنما لحب من اختار الديار سكنًا... فالحب، ومن دون وصول إلى مرحلة من دون السماء الأولى في تنزيهه، هو سر يرتبط بالمحب والمحبوب، والديار، والرب، وهذا ما خلق طبقة المتصوفة العارفين الواصلين المنقطعين إلى عشق يجعل أحدهم شهيداً «قلبي يحدثني بأنك متلفي / روي فداك عرفت أم لم تعرف، من ابن الفارض ورابعة إلى الحلاج وإلى يومنا هذا التلطف والافتداء من أجل المحبوب وما يجب وطريقة المثلى للوصول إلى خلود أبدي سرمدي في حرف وكتاب ووجدان، ما دام مفهوم الوصول بين العبد والرب يؤخذ من رسول بشري يكون سرًا موصولاً بالعرفان، سواء كان منزهًا عن التشبيه، أم غير منزه! أزعج أن الحب أصعب سر في الوجود، وأقول الحب، لأخرجه من إطار الحياة والممارسة التي لا تصل إلى جوهر الحب وسره، فالحب عرفان ووصول، خرقه وتصوف، احتراق وبقاء، فناء وخلود، تضحية وإفناء بمعناه الروحي الذي لا يتصل عن الرباط الأرضي بما هو أسنى للروح والوله، وهو الأشبه أو الأكثر شبيهاً بالإيمان بالوجود والغيب، صعب أن نفهمه، سهل أن نمارسه، بسيط أن نحكم على إخفاقنا وأول سر من أسرار الحب أن يحب المرء نفسه، لأنه إن أحب نفسه نزهياً، وإن تنزهت ترفعت عن الصفات، وإن أحبها أوصلها إلى حافة الغرور، والنفس المغرورة تبعد عن الدنيا لأنها تصعب إلى العرفان أقرب، وإن أحب المرء نفسه صار قارئاً على حب الآخر، لأنه يراه مستحقاً، ومن كان شريكاً مستحقاً في الحب كان شريكاً جديراً بمقامسك الحب والديار والأرض، ومن أحب نفسه حتى أحب محض الآخر حباً يستحقه هو قبل أن يستحقه الآخر... فإن عجز المرء عن حب ذاته فإنه لا يرجى منه أن يكون محباً إيجابياً، لأن من عجز عن حب ذاته، فهو عن حب غيره أعجز وأكثر عجزاً!..

ولعل أهم سر من أسرار الحب التنزيه عن الغائية، فمن الطبيعي أن يحب المرء أهله وعشيرته وأسرته لأنه مهم، ولأنهم هو وهو هم، لكنه ليس حباً لارتباطه بالغائية والصلحة والحياة المشتركة، أما من يحب وهو ينزه حبه عن الغائية فهو الحب الحقيقي، وقد شدا الشعراء والمغنون بهذا الحب الذي أطلقوا عليه تسمية «حب بلا أمل، فلا هو أرح، ولا هو زوج، ولا هو أب، ولا هي أخت، ولا هي زوج، ولا هي أم... الحب غير الموسم بالغائية هو مطلق الحب، وهو أقدس أقداس الحب، لأن نتيجته ليست محسومة، ولأن الحب لا يأتي نتيجة منفعة أو احتواء.

راوي الحديث هذا عن سر الحب منذ أمد بعيد، ولكنني لم أشأ أن أنظر وأتفلسف في ماهية الحب، حتى أعنت قراءة طوق الحمامة للإمام الأديب ابن حزم لأجده منطلقاً مختلفاً، ونتائج مختلفة، وخاصة في ظل الحديث عن الحب والوطن والإنسان، إذ تحول كل فرد إلى المحب الوحيد للوطن، وغيره ليس محباً، ولا يعرف الحب، وتحول الحب إلى شيء، يملكه أحدهم، وهو يسرق الوطن، ويملكه آخر وهو يمتص رحيق الوطن، ويملكه ثالث وهو يهاجم الوطن، ويملكه رابع وهو يدعو للانفداء على الوطن، ويملكه رابع وهو يسهم في كنف عبوة كنفيد الوطن تمهيداً للانفصال، بينما المحب الحقيقي يربط ويعجز عن الفعل، يربط ويعجز عن الدفاع والبوح بما يعتمل في الذهن!

فهل أحب وطني لأنه يمنحني موقعاً ومنفعة ومصالحة؟ وهل أحب وطني لأجمع ما في ضرعه من حليب وأرحل؟ إن لم يعطني الوطن ما أريده من مصلحة ومنفعة وخيرات فهل تتغير مشاعر الحب؟ إن تغيرت المشاعر بين المنع فهل يعد ما أقوم به وأشعره وأمارسه من طقوس الحب؟ هل يحق لأحدهم وهو يستمتع بما في الوطن أن يعلمي ويعلم الجميع مفهوم حب الوطن والوطنية؟

هل يحق له أن يدلني على طرق التضحية والحب في سبيل وطن خلقت فيه لأحبه لأشئي، وآخر، وليجيني؟

وفي المقابل هل يحق لن فعل الأفعال واستباح الوطن أن يتباكى حباً عليه؟ هل يحق لمن لم يعترف بوجوده أحد، وغادر ذات لحظة أن يترقب ليلمتنا كيف نحب أوطاننا؟ هل يحق لمن يدعو لتفاسم الوطن، وكل همّة أن يترقب فوق رؤوسنا أن يعلتنا حب الوطن؟ يدعو إلى كل شيء مؤلم، وحين يحقق يدعو إلى الممكن - حسب رأيه - يريد أن يكون في السلطة وحسب، هل يحق له أن يدعي الحب؟ أو أن يعلتنا الحب؟! الحب المنزه هو البعيد عن الغائية، البعيد عن المصلحة، فالمنصب ليس حباً، وإنما خدمة وتكليف لا غير.

أعود إلى الحب الفردي، فليس من حق المرأة أو الرجل التباهي بحب الشريك أو الأبناء بهذا الحب لأنه حب تملك وغاية... وليس من حق الطامع في آخر أن يدعي الحب، لأنه صاحب غاية، إنما الحب هو تضحية بلاغاية، ورسالة لا أمل في استمرارها وإن تحققت، والحب مؤطر بالحلم الذي يعرض فوق أرواحنا ليلمتنا أن الحب يكون لما يستحق ولن يستحق، وعندما نفهم مفهوم الافتداء والتف والعرفان والشهادة، وكلها مفاهيم لا تنتظر ثواباً، وإنما اكتسبت قيمتها من خلودها وبقائها... فأثبتت في مستنقع الموت رحله / وقال لها من تحت أحمصك الحشر، ويبقى أن أجمل الحب حب بعد ما قيلًا... ولك الله يا شام.

إسماعيل مروة

جائزة الدولة التقديرية قيم جمالية وأدبية وروحية

وزير الثقافة: جميل أن نرى رجال الثقافة يبدعون في أحلك الظروف قتامةً.. وسط الدمار

حسن م. يوسف: تكريمي اليوم فيه لصحيفة «الوطن» دور لأنها أعطتني رئةً ثالثةً أنتفس من خلالها عندما عزّ الهواء



يوسف، زحلاوي وحناي مع مهدي دخل الله ومحمد الأحمد



جانب من المشاركين في تكريم الفائزين

| سارة سلامة - ت: طارق السعدوني

كم هو جميل في بلد يمرّ بأزمة وحرب خانقة أن يفكر بالقيم الجمالية وكم هو جميل أن يصغي إلى الصوت الصاخب الذي ينتشله من كل هذا الضجيج، يبحث عنه هارباً ومستبشراً بالأمل الذي يغوص في أعماقه، هذا السواد الذي أربوه ورسومه من غير الممكن أن نراه في بلد ولاء للإبداع ورائد دائماً بكل مجالات الفنون، فاليد التي تحارب وتقهر الغزاة ماسكة على الزناد تحمل في يديها الأخرى كل معاني الفن والثقافة والجمال لتحفظ به تراثنا وحضارتنا الراسخة في عمق التاريخ لنقول للعالم إن مسيرة الإبداع لا يمكن أن تنتهي أو تموت. ثلاث قامات أدبية وغنائية ورجل دين عالم كانوا اليوم تحت المجهر السوري يبنضون عشقاً من

قلب دمشق لينشروا رسالة إلى العالم أجمع واعدن بمستقبل مشرق وجميل. وبحضور وزير الثقافة محمد الأحمد وعدد من الشخصيات السياسية والأدبية والفكرية أقامت وزارة الثقافة حفل تسليم جوائز الدولة التقديرية لعام ٢٠١٧ للفائزين، في مجال النقد والدراسات والترجمة للآب الياس زحلاوي، وفي مجال الفنون للفنانة ميادة حناوي، وفي مجال الأدب للأديب حسن م يوسف وذلك على مسرح قاعة الدراما بدار الأسد للثقافة والفنون. وسلم كل من عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس مكتب الإعداد والثقافة والإعلام الدكتور مهدي دخل الله ووزير الثقافة محمد الأحمد في ختام الحفل جائزة الدولة التقديرية وميدالية ذهبية مع براءتها للفائزين.

زحلاوي: من أراد أن يكرم الله فليكرم الإنسان ومن أراد محبة الله فليحب الإنسان

أمانة للأجيال القادمة

وفي تصريح للصحفيين أكد وزير الثقافة محمد الأحمد أن: «سورية صمدت وانتصرت بفضل قائدها وجيشها وأبنائها المخلصين المدافعين عنها، كما أنها صمدت وانتصرت بفضل ثقافتها العريقة الممتدة في جذور التاريخ الإنساني وما تحمله من غنى أثري في المجالات كافة، فالثقافة في الوجه الآخر لانتصارات الوطن والمعاهد الموضوعية لتضحيات الجيش وضباطه، وأبناء هذا الجيش هم الذين صنعوا انتصارات مذهلة سينحدر عنها التاريخ الحضاري والثقافي للأمة جميعاً، مشيراً إلى: «سعادة المرء العظمى حين يرى رجال الثقافة يبدعون في أحلك الظروف قتامةً، ويتألقون وسط هذا الدمار الذي أرادت لنا قوى عظمى، فلم يتخلوا عن حمل أقاليمهم وريشهم والأهتام الموسيقية، فابدعوا تاريخاً إنسانياً سيتحدث عنه كل من سياتي بعدهم، ونحن نسلم الأمانة للأجيال القادمة، لتري كم كانت سورية مبدعة في زمن الحرب وفي أزمان الشدة، مضيقاً: إن كل ما تم اليوم في دار الأسد للثقافة والفنون هو ترجمة حقيقية لدعم الرئيس بشار الأسد للفن والمبدعين رغم كل الظروف».

واستهل الأحمد كلمته التي ألقاها مباركاً فيها للفائزين بالجائزة وتمنيهاً لهم مزيداً من التالف والإبداع، وشكر جهودهم التي بذلوها من أجل تقديم صورة ناصعة وحقيقية عن حضارة سورية العريقة وإرثها الغني ومساهماتها الكبيرة في التاريخ الإنساني، موضحاً أن سورية تحظى بطاقات هائلة كماً ونوعاً على الرغم من الحرب الظالمة التي تشن عليها، فهناك وفرة من المبدعين في الشعر والقصة والرواية والمسرح والفنون كافة وهم لم يتوقفوا عن ممارسة دورهم وزادتهم الحرب إصراراً وصموداً وتحدياً وتناغموا مع جيشهم وشعبهم.

وعبر الأحمد عن فرحه عند رؤية رجال الثقافة السوريين مصيرين على مواصلة العمل والإنتاج في أصعب الظروف، وعلى حمل أقاليمهم وريشهم والأهتام الموسيقية تحت الصلف والظلالف وإرثها مؤكداً أن سورية صمدت وانتصرت بفضل قائدها وجيشها وأبنائها الصامدين وبفضل ثقافتها العريقة وحضارتها الممتدة في التاريخ.

وأفاد الأحمد أن: «إرادة السوريين تكمن في المضي قدماً على الطريق التي يتبشونها اليوم بصلاية واقتدار، من أجل إعلاء كيان الحب والحياة والخير والجمال، فالمهرجانات الشعرية والمسرحية والعروض السينمائية والحفلات الموسيقية التي تقام كل يوم تشكل إيقاعاً يومية لحضارتنا الثقافية التي تأتي الرضوخ لمنطق الإرهاب».

أقصى القداسة تراب دمشق

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» قال الأديب حسن م يوسف إن: «هذا التكريم من صحيفة «الوطن» فيه حصة لأنما أعطتني رئةً ثالثةً أنتفس من خلالها عندما عزّ الهواء، وهذا التكريم بالنسبة لي مهم جداً ويعني أن الناس الذين فكرت بهم عمراً فكروا بي أخيراً وهذا شيء جميل لأننا عادة لا نفكر بكتابتنا إلا عندما يودعوننا ويموتون، ولذلك أوجه الشكر للجنة الجائزة وعلى رأسها وزير الثقافة محمد الأحمد وأشكر كل من جاء إلى هذا التكريم لأن حضورهم هو جائزة بحد ذاتها».

وتحدث الأديب حسن م يوسف في كلمته قائلاً: «التفت خلفاً لأستعرض العمر الذي قضيتة رقيقاً للكلمات، أحاول أن أحمّن ماذا فعلت بي وماذا فعلت بها، أرى أنني حاولت وسع جهدي أن أعمل لكم من أنا كي أستحق شيئاً من حكم، وأعبر أن أقول عن ضمير عصري المنقلب بالذنوب كي يتغيروه، أرى أنني حاولت أن أجمعكم تضحكوا، وأقول الحقيقة المرة كي تتقبلوها مني، أمنت باعراً أننا لم نعط



المكرمون

دخل الله: الإبداع لا يزال في سورية، فهي مثل طائر الفينيق

الكلمات كي نختبئ خلفها، أمنت باعراً أن الجمال هو خبز الروح، وأن الكلمة التي لا تجعل الإنسان أرقى وأثقى وأسمى وإبهي هي مجرد كتابة على الهواء المياء، اكتشفت باكراً أن الخوف أسوأ من الاعتقاد لأنه ضرب من الاعتقاد الذاتي، وعندما صرخت ياخوتي العربي صلاح الدين قبل ١٧ عاماً صرخت ياخوتي العربي أطلقوا سراح عقولكم، لكن الصرخة تردت والفيلم لم يشاهد من قبل من يجب أن يشاهده، التفت خلفاً أحاول أن أتلمس خصوصية الطريقة التي تدفقت بها عبر الزمن».

وتوجه يوسف بالشكر الغامر لجائزة الدولة التقديرية وعلى رأسها وزير الثقافة محمد الأحمد وقال: «قبل ما تم هؤلاء وبدعمهم أود أن أتحني تقديراً وامتناناً لجنود وقادة جيشنا الوطني العربي السوري الذين صانوا وحدة التراب الوطني وحرسوا إيماننا وليالينا وموتوا من أن نعيش ونحتف ونحتل ونخطي بالتكريم وهم الأجدر بأن يعيشتوا ويحتفلوا ويكرموا، أتحني لكل شهداء الجيش السوري الذين ضحوا بأرواحهم الجميلة والنبيلة كي تكون هذه اللحظة مكنة وأرى بينهم ابن أختي الشهيد حسن الشيخ وابن أخي الشهيد سعيد يوسف».

وختم يوسف حديثه بالكلمات التالية: «أقصى الصلاة فولاذ جديد، أقصى النعومة بروكار دمشق، وأقصى العذوبة فيجة دمشق، أقصى الجمال نساء دمشق، أقصى الدماعة إنسان دمشق، أقصى البطولة يوسف الغلمة دمشق، أقصى القداسة تراب دمشق.. شكرًا دمشق».

شمي الكبير هو الإنسان

وفي تصريح خاص لـ«الوطن»، أكد الآب الياس زحلاوي بأنني: «لم أكن يوماً أحلم بجائزة وكنت أحاول أن ألتقط حاجات الناس بدءاً من الأطفال الكدم من أنا كي أستحق شيئاً من حكم، وأعبر أن أقول عن ضمير عصري المنقلب بالذنوب كي يتغيروه، أرى أنني حاولت أن أجمعكم تضحكوا، وأقول الحقيقة المرة كي تتقبلوها مني، أمنت باعراً أننا لم نعط

سورية مستمرة في الحياة

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» قال عضو القيادة القطرية مهدي دخل الله إن: «هذا التكريم له أبعاد كثيرة وأعتقد أن أهمها هو الدليل على أن سورية مستمرة في الحياة بجميع مناحيها وخاصة مناحي الثقافة ومناحي التميز والإبداع، فاليوم لدينا ثلاثة مبدعين من فروع متعددة في الإبداع في مجال البحث والفن والأدب وهي الفروع الرائدة في الثقافة، كل هذا يؤكد أن الإبداع لا يزال موجوداً في سورية وهي مثلها مثل طائر الفينيق الذي يبعد دائماً ويخرج حياً ونشيطاً من الرما».

بدورها قالت الإعلامية هيام الحموي إنه: «وفي ظل الحرب هناك أشخاص يستحقون التكريم خصوصاً الذين دافعوا عن الحق والوطن، وعلى كل طريقته بين الفن والدين والأدب، وهذه العناصر الثلاثة تكريم للفروع أن تساعد في الصمود، وتكريم المبدع دليل وأمل بأن الغيوم بدأت تتشعق رويداً رويداً عن بلدنا، مضيقاً: إن هؤلاء المبدعين نماذج من الإنسان السوري المعطاء، فالثقافة ميادة الحناوي حقيقية التي ترفع رأسنا بها أينما كنّا. والآب زحلاوي كان يقول في دائماً «لا تتأفوا على سورية فالحق مع سورية لذا ستنتصرون»، والأستاذ حسن م. يوسف الذي يغنيها دائماً بأفكاره الرائعة وبمقالاته ولقاءاته، وبدوري أشكر دولتنا التي كرمت هذه القامات الرائعة رغم الأزمة التي تمرّ علينا».

جائزة الدولة أعلى تكريم

ومن جانبه قال عضو لجنة التحكيم علي القيم إن: «جائزة الدولة التقديرية هي من الجوائز المهمة على صعيد الوطن والتي كان من ضمن شروطها بأن تعطي للمبدعين الذين لم يكرموا سابقاً لا بوسام الاستحقاق ولا بأي جائزة أخرى، وأن يكون المكرم حياً بشرط أن يكون الاقتراع بالسرية وهذا العام تم تكريم الآب الياس زحلاوي والفنانة ميادة الحناوي والأديب حسن م يوسف».

وقال الدكتور راتب سكر إن: «تكريم هذه النلة من العاملين في حقول الثقافة المختلفة هو تكريم لجهودهم هذا التقليد موجود باستمرار ولم تستطع سنوات الحرب ولا الاعتداءات على سورية أن تزيل مثل هذه المناسبة الجميلة، وأرى أن كل المبدعين يستحقون التكريم في سورية، وتمثل هذا الشيء اليوم بشكل تسعى لتكريم المبدعين السوريين، وأعربت عن سعادتها الكبيرة بأن تكريم على أرض بلدها سورية.

هذا ويذكر أن وزارة الثقافة منحت جائزة الدولة التقديرية لعام ٢٠١٦ للكاتبة ناديا خوست في مجال الآداب واللغاتة سلمى المصري في مجال الفنون والأديب محمد حسن قهبة في مجال النقد والدراسات والترجمة.

ميادة حناوي: سعيدة بأن يتم تكريمي على أرض بلدي سورية